

النار الحية و ملاغوريات



عمّن يبحث المشتاقون..
ولمن يتشوق الباحثون التواقون
في هذا الوجود المحدود الفاني؟
ومن ذا الذي ألهم الواصلين وضَع أقدامهم
على طريق الإستنارة والمعرفة التوحيدية الحقّة؟
كلنا مسافرون على دروب الحياة..
ومدفعون نحو غاية لا نعرف عنها الكثير..
تعصى على التوصيف
إنما نحسّها في أعماقنا حقيقة قائمة..
تلهب أشواقنا..
تغذي حنيننا..
وتشحن دماءنا بسيل العزيمة وإكسير التصميم.
كلنا باحث عن حقيقة نفوسنا..
عن جوهر كياننا.
ومع ذلك نعيش في عالم الأبعاد..
نلهو ونمرح وسط المظاهر والظواهر..
ناسين أو متناسين هدف الحياة..
مُعرضين عن كل ما يذكرنا بغايتنا
ويستحثنا للسعي إليها برغبة صادقة وهمة نافذة.
متع الحواس الصاخبة لا تترك لنا في أعقابها
سوى رماد الأهواء..
فتواصل قلوبنا العطشى بحثها
عن ينابيع السلام المنعشة.
ومن قدس أقداس كياننا
تهمس أرواحنا حنينها الصامت لكنوز الباطن..

مدركة أن الجسم هو ظلّ زائل للنفس الخالدة
وأنا لسنا الحواس السادرة في الأوهام
ولا الجسد ولا الكلام
ولا برادة الفكر التي دأبها التذبذب والإنجذاب
إلى مغناطيس الصغار والسلبيات.

الأجسام رداؤنا..

والحواس زينتنا..

لكننا لسنا هذا أو تلك.

العقل الحسي يدفعنا كي نحمل عبء الرغبات الثقيل
فنتسبر على دروب الأشواق الحسية التي لا انتهاء لها ولا ارتواء..
عاجزين عن إدراك قوى الروح التي لا تكسر ولا تقهر.
نستسلم أمام قوى الأهواء الطاغية
محتسبين أن رغباتها رغباتنا.
نهرع لتلبيتها..

فنتقبض على ربح اللاشيء..

ونظل غافلين عن جرثومة الإلوهية

الكامنة في تربة نفوسنا.

الأفكار الصغيرة للعقل الموهوم المقيد بالحواس
بارعة في حبك شباك الإكتفاء الحسي..

التي غالباً ما نسقط فيها

ونصبح مقيدين بحبال وحبائل الأنانية والوهم الذاتي.

ألا فلنعمل على خرق وخرق تلك الشباك

مستعملين مدى الإرادة والمثل الروحية..

مدركين شمولية أرواحنا التي تعصى على الحصار والإنكسار.

نسير في ديجور المدركات الحسية

فلا نبصر أمامنا.. وتتعثّر وتدمى أقدامنا..

ألا فلنرفع مشاعل الحكمة..

لتنير لنا دروب الحياة..

علنا نسير عليها بثقة ويقين

وأمن وأمان.

إغراءات السعادة الحسية

تهمس للعقل فتسحبه من الأعماق سحباً..

مصحوباً بالرغبات المخفورة بالغرائر الأنانية..

فيهرع لا يلوي على شيء

ملتمساً فتاتٍ من لذات
لا تسمن ولا تغني من جوع.
وبين هذا وذاك..
تتأمل النفس في محراب التذكر قائلة:
أنا لست الحواس ولا الأفكار..
ولست العقل الذي لا يعدو انعكاساً لذاتي
ومظهراً لحقيقتي.
أيها العقل الإمعة المقيّد بألف خيط من خيوط الحواس..
إنك لتمجّد ذاتك وتترزين وتتبرقع
وتغيّر ألوانك كالحرباء
محاولاً التمويه وتهميش القلب ذي الأشواق
وإخفاء أنواره الوامضة بحب الله.
ألا فلتتخطم قيود العبودية
ولتؤكد النفس لذاتها:
أنا النار الحية تحت رماد الأهواء..
لا يقوى على طمسي أي رماد..
ولا يحيق بي الفناء طوال الأبد.

طاقـــــــــــــــــوريات



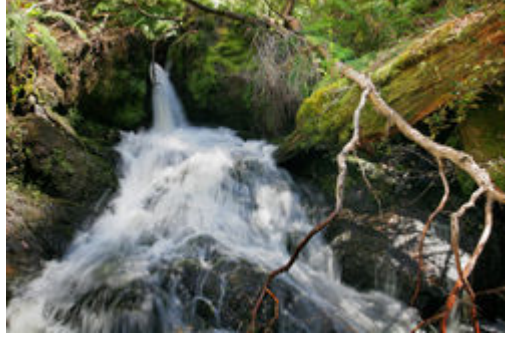
لقد صغنتي لا متناهيأ.. بلا حدود
وفي ذلك مسرتك.
وهذا الوعاء وعاني
تفرغه المرة تلو الأخرى
وتملؤه دوماً
بحياة عذبة جديدة.

وشبابة القصب النحيلة هذه
التي تحملها فوق الهضاب والوديان
تنفخ فيها دوماً أحياناً
متجددة طوال الأبد.
وباللمسة الخالدة ليديك
يفقد قلبي الصغير حدوده..
يذوب في الفرح..
ويهمس بعباراتٍ تعصى على الوصف.
عطايك اللامتناهية تأتيني
فأقبلها بكفي الصغيرين.
وتمر العصور وتتوالى الدهور
وتتواصل عطايك
ويتواصل تقبلي لها.



عندما تأمرني بالغناء
يكاد قلبي يتفجر من شدة الفخر؛
وإذ أنظر إلى وجهك
تترقق الدموع في عيني.
وكل ما في حياتي من خشونة ونشاز
يذوب في لحن عذب واحد
فبيسطُ هيامي جناحيه كطائر تملؤه البهجة
لانطلاقه عبر البحر الفسيح.
إنني أعلمُ بأنك ترتاح لغنائي.
وأعلمُ بأنني لا أقف في حضرتك
إلا بصفتي منشداً.
وبطرف الجناح المنفرد لأغنيتي
ألمس قدميك اللتين لا يمكنني (بخلاف ذلك)
أن أطمح أبداً في الوصول إليهما.

وإذ أنتشي بفرح الغناء
أنسى نفسي فأدعوك صديقي
يا من أنت سيدي!
لا أعرف كيف تنشد يا سيدي!
لكني أصغي لك دائماً وأبداً باندهال واندهاش.
نور موسيقاك يضيء العالم.
وأنفاسُ الحياة في أنغامك
تمتد من سماء إلى سماء.
والجدول المقدس لألحانك يخترق العوائق الصخرية



ويواصل جريانه بقوة متعازمة.
لكم يتوق قلبي لمشاركتك الغناء!
لكن بالكاد أعثر على صوتي.
أود أن أنطق لكن الكلام لا يترجم ذاته إلى غناء
فأصرخ إذ أحتار ويصيبني الإحباط.
آه.. لقد أسرت قلبي يا سيدي
في شبكة ألحانك التي لا حد لها ولا انتهاء.



أيا حياة حياتي..
سأحاول دوماً الإحتفاظ بجسمي نظيفاً مطهراً
لعلمي أن كل جوارحي قد باركتها لمستك الحية.
وسأحاول دوماً طرد الزور والإفك من أفكاري
مدركاً أنك أنت الحقيقة التي تشعل نور البصيرة في عقلي.
وسأبذل دوماً غاية جهدي لطرد كل الشرور من قلبي

ولإبقاء محبتي ناضرة
لعلمي أن لك مكاناً في أقدس ركن من هيكل قلبي.
وسأحاول دوماً إظهارك في أفعالي،
مدركاً أن قوتك هي التي تمدني
بالقدرة على العمل.

تعاليم معرفة الذات
رابندرانات طاغور
الترجمة: محمود عباس مسعود